الحِجاج البلاغي للنفي والاستفهام في سور آل حم: دراسة تحليلية

The Rhetorical Argument of Negation and Interrogation in Surah Al-Hum: An Analytical Study

أ. **عبدالله غرمان العمري:** باحث في مرحلة الدكتوراه، تخصص اللغويات، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

د. ماجد بن هلال العصيمي: أستاذ مشارك في قسم اللغويات، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

Mr. ABDULLAH GHRMAN ALAMRI: PhD Researcher in Linguistics, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: abdullhamri99@gmail.com

Dr. MAJED HELAL ALOSIMI: Associate Professor, Department of Linguistics, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.

Doi: https://doi.org/10.56989/benkj.v6i2.1782

تاريخ الاستلام: 2026-01-03 تاريخ القبول: 2026-01-19 تاريخ النشر 2026-02-01

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الحِجاج البلاغي لأسلوبي **النفي والاستفهام** في سور آل حم، من خلال تحليل وظائفهما الدلالية والإقناعية في الخطاب القرآني. وينطلق البحث من فرضية مفادها أن النفي والاستفهام في هذه السور لا يقتصران على كونهما أسلوبين لغويين أو إنشائيين، بل يتجاوزان ذلك ليشكّلا آليتين حِجاجيتين فاعلتين تسهمان في ترسيخ الحقائق العقدية، ودحض الشبهات، ومخاطبة العقل والوجدان معًا.

واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مدعومًا بالمنهج البلاغي الحجاجي والسياقي، للكشف عن كيفية توظيف أدوات النفي في إبطال المزاعم الباطلة وتأكيد القضايا الكبرى، مثل التوحيد والبعث والوحي، إضافة إلى بيان دور الاستفهام البلاغي في تحقيق أغراض الإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتحفيز العقلي. كما تسعى الدراسة إلى إبراز العلاقة بين السياق القرآني الجدلي وبين توجيه الدلالة الحجاجية لهذه الأساليب.

وخلص البحث إلى أن سور آل حم تمثل نموذجًا بارزًا للخطاب الحجاجي القرآني، حيث يتكامل النفي والاستفهام في بناء حُجج محكمة، تتدرج في مخاطبة المخالفين من التفنيد العقلي إلى التأثير النفسي، بما يعزز قوة الإقناع البلاغي للنص القرآني. وتبرز النتائج أن الجمع بين النفي والاستفهام يُنتج أثرًا حجاجيًا مركّبًا، يسهم في ترسيخ المعنى، وإلزام المخاطب بالحجة، وإحداث التحول الفكري المنشود.

الكلمات المفتاحية: الحِجاج البلاغي، النفي، الاستفهام، سور آل حم، الخطاب القرآني، الإقناع البلاغي، السياق القرآني

Abstract

This research aims to examine the rhetorical argumentation of **negation** and **interrogation** in the Ḥā-Mīm Surahs (Āl Ḥā-Mīm) through an analysis of their semantic and persuasive functions in Qurʾānic discourse. The study proceeds from the premise that negation and interrogation in these surahs are not merely linguistic or syntactic devices; rather, they function as effective argumentative mechanisms that contribute to establishing doctrinal truths, refuting doubts, and addressing both reason and emotion.

The research adopts a descriptive–analytical approach, supported by rhetorical–argumentative and contextual methodologies, to reveal how tools of negation are employed to invalidate false claims and affirm major doctrinal issues such as monotheism, resurrection, and revelation. It also elucidates the role of rhetorical interrogation in achieving purposes such as denial, affirmation, reproach, and intellectual stimulation. In addition, the study seeks to highlight the relationship between the polemical Qurʾānic context and the orientation of the argumentative meanings of these devices.

The research concludes that the Ḥā-Mīm Surahs constitute a prominent model of Qurʾānic argumentative discourse, in which negation and interrogation integrate to construct coherent and compelling arguments that progress from rational refutation to psychological impact, thereby enhancing the rhetorical persuasiveness of the Qurʾānic text. The findings further demonstrate that the combination of negation and interrogation produces a complex argumentative effect that reinforces meaning, obliges the addressee through proof, and brings about the intended intellectual transformation.

Keywords: rhetorical argumentation; negation; interrogation; Ḥā-Mīm Surahs; Qurʾānic discourse; rhetorical persuasion; Qurʾānic context.

المقدمة:

يُعدّ القرآن الكريم خطابًا حِجاجيًا بامتياز، يقوم على مخاطبة العقل والوجدان معًا، مستثمرًا طاقات اللغة العربية في أعلى صورها البلاغية. ومن بين أبرز الوسائل التي اعتمدها الخطاب القرآني في بناء الحُجج وإقناع المخاطبين: أسلوب النفي والاستفهام، لما لهما من قدرة على زعزعة المسلّمات الباطلة، وترسيخ الحقائق العقدية، وإثارة التفكير العقلي.

وتُعدّ سور آل حم (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف) نموذجًا غنيًا للحجاج القرآني، إذ نزلت في سياق جدليّ واضح، يواجه إنكار المشركين، ويُفنّد شبهاتهم، ويؤسس لمعالم العقيدة من خلال خطاب يعتمد المجادلة بالحُجّة والبرهان. وقد برز في هذه السور توظيف مكثف ومتنوّع لأدوات النفي والاستفهام، ليس بوصفها تراكيب لغوية فحسب، بل باعتبارها آليات حجاجية فاعلة.

وتسعى هذه الدراسة إلى تحليل هذه الظاهرة تحليلاً بلاغيًا حجاجيًا، يكشف عن الوظائف الإقناعية للنفي والاستفهام، ويُبرز علاقتها بالسياق القرآني والمقام الخطابي.

مشكلة البحث:

رغم كثرة الدراسات البلاغية واللغوية حول الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم، إلا أن معظمها اتجه إلى التحليل الوصفي أو النحوي، أو ركّز على الجانب الجمالي، دون الوقوف بعمق عند البعد الحجاجي التداولي لهذه الأساليب، خصوصًا في سور آل حم.

وتتمثل الإشكالية في غياب دراسة مستقلة تُعالج كيف تتحول أدوات النفي والاستفهام من مجرد أساليب لغوية إلى وسائل إقناع وحِجاج، وكيف يسهم السياق الجدلي في توجيه دلالاتها، وما أثرها في المتلقي من حيث زعزعة القناعات الخاطئة وبناء اليقين.

تتمثل إشكالية البحث في السؤال الرئيسي: **كيف وظّف القرآن الكريم في سور آل حم أدوات النفي والاستفهام توظيفًا بلاغيًا حِجاجيًا، لتحقيق الإقناع ودحض الشبهات، وما الأبعاد الدلالية والسياقية المصاحبة لهذا التوظيف؟**

تندرج تحت السؤال الرئيس مجموعة من ال**أسئلة الفرعية على النحو التالي:**

1. ما مفهوم الحِجاج البلاغي، وما علاقته بأسلوبي النفي والاستفهام في الخطاب القرآني؟
2. ما أنواع النفي الواردة في سور آل حم، وما وظائفها الحجاجية؟
3. كيف تنوّعت دلالات الاستفهام بين الإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتحدي؟
4. ما أثر السياق (العقدي، الجدلي، المقامي) في توجيه المعنى الحجاجي؟

5. كيف يُسهم الجمع بين النفي والاستفهام في تعزيز قوة الحجة القرآنية؟

منهج البحث:

يعتمد البحث على:

- **المنهج الوصفي التحليلي:** لوصف الأساليب ورصدها.
- **المنهج البلاغي الحجاجي:** لتحليل الوظائف الإقناعية.
- **المنهج السياقي:** لربط الأسلوب بالمقام الخطابي.

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم الحِجاج البلاغي وأدواته في الدرس البلاغي الحديث والقديم.
2. تحليل النفي والاستفهام بوصفهما آليتين حجاجيتين في سور آل حم.
3. الكشف عن الأثر النفسي والعقلي لهذين الأسلوبين في المخاطب.
4. إبراز العلاقة بين السياق القرآني وبنية الخطاب الحجاجي.
5. الإسهام في تطوير منهج تحليلي يجمع بين البلاغة والتداولية.

أهمية البحث:

- **أهمية علمية:** يرفد الدراسات القرآنية برؤية حجاجية حديثة، تتجاوز التحليل الشكلي.
- **أهمية بلاغية:** يبرز طاقات الأساليب الإنشائية في بناء المعنى والإقناع.
- **أهمية منهجية:** يقدم نموذجًا تطبيقيًا للتحليل البلاغي التداولي.
- **أهمية معرفية:** يعمّق فهم طبيعة الخطاب القرآني الجدلي.

حدود البحث:

- **الحدود الموضوعية:** يقتصر البحث على أدوات النفي والاستفهام فقط.
- **الحدود النصية:** سور آل حم دون غيرها.
- **الحدود المنهجية:** التحليل البلاغي الحجاجي دون التفسير العقدي الموسّع.

مصطلحات البحث (تعريفات إجرائية)

- **الحِجاج:** توظيف اللغة لإقناع المخاطب أو دحض رأيه بالحُجّة.
- **النفي:** أسلوب لغوي يُستخدم لإبطال حكم أو ادعاء.
- **الاستفهام:** أسلوب إنشائي يُخرج غالبًا عن معناه الأصلي لأغراض بلاغية.

أولا: عاملية النفي:

لعاملية النفي أثر كبير في تراكيب القرآن الكريم؛ وكثيرًا ما تتكرر عوامل النفي من أجل إثبات النفي وتقويته، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بالعقيدة ومحاولة اتباعها أو نفيها. ومن أبرز أدوات النفي ذات الطاقة الحجاجية في سور آل حم ما يلي:

1) لا النافية:

(لا) وضعُها من الكلام النفي. فإذا وقعت على فعلٍ نفتهُ مستقبلاً، وحسن نفيها لِما وقع موجباً للقسم؛ كقولك ليقومَنَّ زيدٌ، فتقول: لا تقومُ يا فتى. كأنك قلت: واللهِ ليقومَنَّ، فقال المجيب: واللهِ لايقومُ (المقتضب: 185/1). وذهب بعضُهم الى أنَّ النفي بـ (لا) أطول من النفي بـ (لن)؛ لأنَّ آخرها ألف وهو حرف يطول فيه النفس، فناسب طول المدة بخلاف (لن) (معاني النحو: 361/3.).

وأشار ابن عاشور إلى المعاني الآتية لعامل النقي (لا):

–النفي القاطع في جميع الأزمنة:

وممَّا يندرج تحت هذا المعنى قوله الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: 20).

إذ يستنبط من كون الأصنام التي يدعونها الكافرون من دون الله فلا تقضي بشيء، أنها بلا قيمة، ولذلك فهي تتميز بالعجز وقلة الحيلة، في مقابل الله عز شأنه، الذي يتصف بالسميع البصير. قال ابن عاشور: "وأما جُمْلَةُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ فَنَاظِرَةٌ إِلَى جُمْلَةِ ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ﴾ (غَافِر: 18) فَبَعْدَ أَنْ نُفِيَ عَنْ أَصْنَامِهِمُ الشَّفَاعَةُ، نُفِيَ عَنْهَا الْقَضَاءُ بِشَيْءٍ مَا بِالْحَقِّ أَوْ بِالْبَاطِلِ وَذَلِكَ إِظْهَارٌ لِعَجْزِهَا "(ابن عاشور، ج24، ص 117).

وقد أفاد التركيب المنفي من خلال عامل النفي أن الْمَنْفِيَ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَعَمُّ مِنَ الْمُثْبَتِ لِلَّهِ تَعَالَى، إذ إن " الْمُرَاد مِنْ قَوْلِهِ: وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ التَّذْكِيرُ بِعَجْزِ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ وَأَنَّهُمْ غَيْرُ أَهْلٍ لِلْإِلَهِيَّةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ فِي إِثْبَاتِ صِفَةٍ لِمَوْصُوفٍ ثُمَّ تَعْقِيبُ ذَلِكَ بِإِظْهَارِ نَقِيضِهِ فِيمَا يُعَدُّ مُسَاوِيًا لَهُ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص 118).

يتضح أن عطف جملة (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) بالتعريف بالموصول، على قوله: (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) بالتعريف بالعلمية، فيه زيادة تحقير لهؤلاء المذكورين؛ أي الذين كفروا في مقابل رب العزة سبحانه، وذلك للاحتجاج عليهم بقلة عقولهم؛ لأنهم اتخذوا الأصنام العاجزة بديلا عن الله الواحد القهار.

كما يأتي النفي بـ (لا) في آيتين متتاليتين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 27-28].

ففي الآية الأولى تقع جملة النفي (لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ)، وصفا للمتكبر؛ تعريضا بفرعون، وهي صفة " مُغْنِيَةً عَنْ صِفَةِ الْكُفْرِ أَوِ الْإِشْرَاكِ لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ الْإِشْرَاكَ وَزِيَادَةً، لِأَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ فِي الْمَرْءِ التَّجَبُّرُ وَالتَّكْذِيبُ بِالْجَزَاءِ قَلَّتْ مُبَالَاتُهُ بِعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ فَكَمُلَتْ فِيهِ أَسْبَابُ الْقَسْوَةِ وَالْجُرْأَةِ على النَّاس " (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص127).

أما في الآية الثانية فالنفي في قوله: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) إذا كان من جملة كلام مؤمن آل فرعون فهو واقع موقع التعليل لقوله: (وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ). " أَيْ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُقِرُّهُ عَلَى كَذِبِهِ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا عَلَى اللَّهِ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَفْتَضِحَ أَمْرُهُ أَوْ يُهْلِكَهُ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص130-131). وأما إذا كان جملة معترضة بين كلاميّ مؤمن آل فرعون، وهي من قول الله عز وجل؛ فمقصدها الحجاجي هو "تَزْكِيَةُ هَذَا الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ إِذْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْحَقِّ، وَأَنَّهُ تَقِيٌّ صَادِقٌ، فَيَكُونُ نَفْيُ الْهِدَايَةِ عَنِ الْمُسْرِفِ الْكَذَّابِ كِنَايَةً عَنْ تَقْوَى هَذَا الرَّجُلِ وَصِدْقِهِ لِأَنَّهُ نَطَقَ عَنْ هُدًى وَاللَّهُ لَا يُعْطِي الْهُدَى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص 131).

إذ يوظف النفي للغاية الحجاجية لإقناع الطرف الآخر، في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: 28). فمؤمن آل فرعون لم يذعن لدعواهم بكذب موسى عليه السلام، ومن ثم فقد أخضع هذه الدعوى الكاذبة للفحص والاستدلال، متخذا في ذلك البينة على صدق موسى أنه عليه السلام قدم الأدلة والإثباتات على صدق دعواه، في مقابل كذب دعوة فرعون، فتمثل النفي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾. بكونه إقرارا بكذب دعوى فرعون، وتأكيدا على صدق دعوى موسى، من خلال إذعانه للتشكيك في دعواه الكاذبة، "بالتدليل، أو إبطال دليله" (عبد الرحمن طه، ص43).

وتعتمد هذه الدعوة الضمنية منه إليهم على ما يسمى في الاستراتيجية الإقناعية بالتقويم، ويعد التقويم متضمنا لقصد الاعتراض، وقد جعل هنريش بليث سياق التقويم مندرجا تحت الجنس القضائي، الذي يتضمن المرافعات القضائية، الإنصاف: الظلم، الاتهام: الدفاع (هنريش بليث، ص30)، والتقويم نابع من هذا الاعتراض المفهوم من دفاع المتهم عن نفسه. والتقويم في اصطلاح الفلاسفة يعبر عن تحديد قيمة الشيء، وذلك بإطلاق حكم قيميّ عليه يرفعه أو يحطّه، بالنسبة إلى معايير أو مبادئ كونية قوامها العقل أو التواضع الاجتماعي أو ذاتيّة عاطفيّة خاصة (صولة، 2007م، ص130)؛

أي أن المقصود به إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتًا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فيبني أدلته وفق اعتراضات المتلقي واستفساراته، مستحضرا الإجابات المختلفة عن تلك التساؤلات، مقدرًا مدى قبوله لها، واقتناعه بها (عبد الرحمن، ص227–228).

واستخدم مؤمن آل فرعون المقابلة بين الرأيين من أجل أن يُشعر المخاطبين الكافرين بتأنيب الضمير، ويجعلهم يندمون على رأيهم وفعلتهم. ومن ثم حملهم على الاعتراف بالرأي الصحيح والإذعان له. المتمثل في قوله: وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ؛ أي الغفار الذي سيغفر لكم إذا رجعتم عن هذا الضلال (العبد، ص95–96). فيصبح التقابل إذن بين دعوتين هما: الدعوى الكاذبة: بنيته اللغوية هي النفي: لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ. الدعوى الصادقة: الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ.

ويأتي النفي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ **[غافر: 52]**.

ففي هذا اليوم لا ينفع الاعتذار من كل من ظلم نفسه بالكفر. ولقد أضيف المصدر المعذرة إلى الضمير "هم"، لأنها تصدر عنهم يومئذ فيعتذرون بها عن الأسباب التي أوجبت لهم العذاب (ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج24، ص 216).

وعطف جملة (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ). على جملة (يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ). لتخصيصهم بها، وأنهم المستحقون للطرد من رحمة الله تعالى، وفي عطف جملة (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ). على الجملة السابقة جاء من باب التوضيح لمن استحق اللعنة، واختص بها. وقد تقدم الخبر "لهم" على المبتدأ في الجملتين للاهتمام بتعذيبهم، وتخصيصهم باللعنة وسوء الدار.

ويأتي النفي مع الاستدراك للدلالة على التعجيب؛ كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ **(غافر: 61)**.

تضمنت الآية تعجيبًا من الله تعالى لأحوال الكثير من العباد، الذين لا يشكرونه على نعمه وفضله عليهم. و (لكنّ) حرف استدراك، وجاء لفظ **(أَكْثَرَ)** مضافًا إلى الناس، ليشمل عموم خلقه "فكان التعميم بالذم للمخالفين" (البقاعي، ج17، ص101). وإظهار لفظ الناس في موضع الإضمار في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ**﴾ بدلا من (ولكنّ أكثرهم)" لتعظيم الأمر" (الفيروز آبادي، ج1، ص411).

ويتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (57). والاستدراك بـ(لكنّ) مع النفي بـ (لا) أفاد معنى "أن حجة إمكان البعث واضحة ولكن الذين ينكرونها لا يعلمون؛ أي لا يعلمون الدليل لأنهم متلاهون عن النظر في الأدلة" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص175). فالله عز وجل يتحدى الناس جميعا في إدراكهم كيفية خلقه، أو

إدراك ضخامته من مجرد الرؤية الحسية القاصرة، وهذا يستلزم ضآلة آرائهم التابعة لضآلة رؤيتهم. ومن ثم جاء الاستدراك في هذه الآية ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ليؤكد تلك الحقيقة، وهي الإخبار عن غفلة المنكرين.

وفي قوله تعالى التالي: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر: 59). تجمع دلالة الآية بين الخطابين السابقين في سياق واحد؛ وهما الوعيد وذم الجدال، إذ يظهر الحجاج هنا من خلال التأكيد الوارد في قوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾. إذ يحمل وعيدا للجزاء الذي ينتظر هؤلاء المجادلين بالباطل، كفرا وعنادا.

ويلاحظ في الآيات المتتابعة أنها نفت عن هؤلاء المجادلين ثلاث صفات؛ وهي:

- العلم في قوله: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. فالانسجام الدلالي في فاصلة نفي العلم مع آيتها متحقق في أن نفي العلم يقتضي الجهل، وهو ما يقتضي حجاجيا إثبات صفة الجهل لهم، "وَالْعِلْمُ نَقِيضُ الْجَهْلِ، فَقَابَلَهُ بِقَوْلِهِ: لَا يَعْلَمُونَ، لِأَنَّ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ جَهْلٌ بِهِ" (الأندلسي، ج1، ص112). فالتعريض هنا قائم على نفي العلم بظاهر القول، وإثبات صفة الجهل بمفهوم الاستلزام الضمني، وهو ما ينسجم مع أحوالهم في جدالهم المستمر في آيات الله عز وجل، إذ إن اتصافهم بالجهل يعني فقدانهم لآليات الاستدلال والفكر المفضي للعلم والإيمان، " وَذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى إِمْعَانِ فِكْرٍ وَاسْتِدْلَالٍ وَنَظَرٍ تَامٍّ يُفْضِي إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ" (الأندلسي، ج1، ص112).
- التذكر في قوله: قَلِيلا مَّا تَتَذَكَّرُونَ. ونفي التذكر هو من بال التعريض أيضا، لتحقيق مقصد حجاجي، وهو "إِضَاعَةِ الْقَصْدِ أَيْ أَنَّهُمْ أَضَاعُوا مَا سَعَوْا لَهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا مَا يُوَصِّلُ لِخَيْرِ الْآخَرِ" (ابن عاشور، ج1، ص 301).
- الإيمان في قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾. وتلك هي الصورة الإجمالية لوصفهم. فإذا انتفى الإيمان عنهم فقد انتفت عنهم كل وسائل الإدراك، وكان وجودها هو والعدم سواء.

ويأتي النفي القاطع في جميع الأزمنة بـ (لا) في آيات آخر، كما في قوله تعالى: **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ (فصلت: 34)**.

فتكرار النفي بـ (لا) يفيد دلالة حجاجية وهي التأكيد؛ إذ إن " مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ والسيئة، دُونَ إِعَادَةِ لَا النَّافِيَةِ بَعْدَ الْوَاوِ الثَّانِيَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ [غَافِر: ٥٨]، فَإِعَادَةُ لَا النَّافِيَةِ تَأْكِيدٌ لِأُخْتِهَا السَّابِقَةِ. وَأَحْسَنُ مِن اعْتِبَارِ التَّأْكِيدِ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ إِيجَازُ حَذْفٍ مُؤْذِنٌ بِاحْتِبَاكٍ فِي الْكَلَامِ، تَقْدِيرُهُ: وَمَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ وَالْحَسَنَةُ. فَالْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ نَفْيُ أَنْ تَلْتَحِقَ فَضَائِل الْحَسَنَة مساوئ السَّيئَة، وَالْمرَاد بِالثَّانِي نَفْيُ أَنْ تَلْتَحِقَ السَّيِّئَةُ بِشَرَفِ الْحَسَنَةِ. وَذَلِكَ هُوَ الِاسْتِوَاءُ فِي الْخَصَائِصِ، وَفِي ذَلِكَ تَأْكِيدٌ وَتَقْوِيَةٌ لِنَفْيِ الْمُسَاوَاةِ لِيَدُلَّ

عَلَى أَنَّهُ نَفْيٌ تَامٌّ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ: جِنْسِ الْحَسَنَةِ وَجِنْسِ السَّيِّئَةِ لَا مُبَالَغَةَ فِيهِ وَلَا مَجَازَ" (التحرير والتنوير، ج24، ص291).

وفي قوله تعالى: يَا عِبادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ **(الزخرف: ٦٨)**. فإن مُفَاتَحَةُ خِطَابِهِمْ بِنَفْيِ الْخَوْفِ عَنْهُمْ يؤدي دلالة حجاجية وهي "تَأْنِيسٌ لَهُمْ وَمِنَّةٌ بِإِنْجَائِهِمْ مِنْ مِثْلِهِ وَتَذْكِيرٌ لَهُمْ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ حَالِهِمْ لِحَالِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ" (التحرير والتنوير، ج25، ص253.).

أما نفي الحزن في قوله: (وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ). فيحمل " تَطْمِينًا لِأَنْفُسِهِمْ بِانْتِفَاءِ الْحُزْنِ عَنْهُمْ فِي أَزْمِنَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، إِذْ قَدْ يَهْجِسُ بِخَوَاطِرِهِمْ هَلْ يَدُومُ لَهُمُ الْأَمْنُ الَّذِي هُمْ فِيهِ" (التحرير والتنوير، ج25، ص254).

ويشبه النحاة (لا) النافية للجنس بـ(أنَّ) في عملها حيث تشابهها في التوكيد؛ فالأولى لتوكيد النفي، والثانية لتوكيد الإثبات، وأن لكليهما صدر الكلام، ولأنّ (لا) النافية نقيضة (أنَّ) وأنَّ الشيء يُحمل على نقيضهُ (الجنى الداني: 292).

ويتبين ذلك باستخدام أسلوب النفي في قوله تعالى: ﴿**تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ(42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ **(غافر: 42-43)**.

وتكمن حجاجية النفي في قوله: (لَا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) في وقوع جملة النفي موقع " التَّعْلِيلِ لِجُمْلَتَيْ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ. وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ أَنْ لَا دَعْوَةَ لِلْأَصْنَامِ فِي الدُّنْيَا بِدَلِيلِ الْمُشَاهَدَةِ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ بِدَلَالَةِ الْفَحْوَى، فَقَدْ تَحَقَّقَ أَنَّهَا لَا تُنْجِي أَتْبَاعَهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا يُفِيدُهُمْ دُعَاؤُهَا وَلَا نِدَاؤُهَا. وَتَحَقَّقَ إِذَنْ أَنَّ الْمَرْجُوَّ لِلْإِنْعَامِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ هُوَ إِلَيْهِ. وَهَذَا دَلِيلٌ إِقْنَاعِيٌّ غَيْرُ قَاطِعٍ لِلْمُنَازِعِ فِي إِلَهِيَّةِ رَبِّ هَذَا الْمُؤْمِنِ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ إِقْنَاعَهُمْ" (التحرير والتنوير، ج24، ص154).

2) ما النافية:

إنّ دخول (ما) على الجمل الاسمية هو الغالبُ في القرآن الكريم (البقري، ٨٧). ومذهب البصريين انّها عامله عمل (ليس). أمَّا أهل الكوفة فيرون أنَّ (ما) لا تعمل شيئاً وأنَّ المرفوع بعدها باق على ما كان قبل دخولها وأنّ المنصوب انتصب باسقاط الخافض أي الباء لأنَّ العربَ لا تكادُ تنطقها إلا بها (السيوطي، همع الهوامع: 389/1). ومن ذلك قوله تعالى: " مَا هَٰذَا بَشَرًا " [يوسف: 31].

ومن ذلك إشارة ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (غافر: 58). فالحق تبارك وتعالى يؤكّد عدم هداية هؤلاء المجادلين في الحق الظاهر الواضح، وذلك من خلال أسلوب حجاجي، وهو المقارنة بين حالين؛ حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وحال المسيء، وذلك " بنفي الاستواء بينهما، إذ يقتضي تفضيل أحدهما على الآخر، فيتبادر إلى ذهن الإنسان أن الأفضل حالاً هو البصير (التحرير والتنوير، ج24، ص224).

والربط السياقي الحجاجي بين الآيتين واضح الدلالة، من خلال التعريض بكون المجادلين في آيات الله الجلية هم بمنزلة الأعمى، مقارنة بحال من آمن بها فهو بمنزلة البصير، فالمقارنة المجازية هنا تمهيد حجاجي لعقد مقارنة حقيقية أخرى، بأنه لا يستوي من آمن وعمل صالحاً مع الذي أساء، وهذا للاحتجاج على اختلاف حال الفريقين، وبالتالي الاختلاف في جزاء كليهما.

3) لن النافية:

ذهب الزمخشري إلى أنَّ لن تفيد توكيد النفي وتأبيده؛ أي لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل؛ تقول: (لا أبرح اليوم مكاني). فإذا أوكدّت وشددَّت قلت: لن أبرح مكاني" (الكتاب 1/460 والاتقان في علوم القرآن للسيوطي: 1/173). ويأتي النفي بـ (لن) في قوله تعالى: وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ **(الزخرف: 39)**. إذ يرى ابن عاشور أن "وُقُوعُ فِعْلِ يَنْفَعَكُمُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ يَدُلُّ عَلَى نَفْيٍ أَنْ يَكُونَ الِاشْتِرَاكُ فِي الْعَذَابِ نَافِعًا بِحَالٍ لِأَنَّهُ لَا يُخَفِّفُ عَنِ الشَّرِيكِ مِنْ عَذَابِهِ (التحرير والتنوير، ج25، ص214).

4) ليس:

ويأتي النفي بـ (ليس) في قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ **(غافر: 42)**.

جمع ابن عاشور بين الدلالتين النحوية والحجاجية للنفي بـ (ليس) فقال: " وَمَعْنَى مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ مَا لَيْسَ لِي بِصِحَّتِهِ أَوْ بِوُجُودِهِ عِلْمٌ، وَالْكَلَامُ كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ آلِهَةً بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ بِنَفْيِ اللَّازِمِ عَنْ نَفْيِ الْمَلْزُومِ" (التحرير والتنوير، ج24، ص153).

فقد وظف مؤمن آل فرعون النفي لإنكار علمه بوجود إله غير الله؛ كما أشار الفخر الرازي إلى أن النفي وإن كان واقعا بحسب الظاهر على العلم، فإنه مكني به بالإشارة إلى المعلوم ذاته، وهو الأصنام التي يدعونه لعبادتها، قال: "الْمُرَادُ بِنَفْيِ الْعِلْمِ نَفْيُ الْمَعْلُومِ، كَأَنَّهُ قَالَ وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ بِإِلَهٍ وَمَا لَيْسَ بِإِلَهٍ كَيْفَ يُعْقَلُ جَعْلُهُ شَرِيكًا لِلْإِلَهِ؟" (الرازي، 1981م، ج27، ص519). فالغاية عند مؤمن آل فرعون هي حصار مخاطبيه من أصحاب الدعوة إلى عبادة الأصنام، وتفنيد ما طرحوه من حجج،

ودعوته الضمنية لهم بتقديم الأدلة والإثباتات التي تدعم دعواهم، أما ما يملك هو من دلائل قوية وحجج واضحة، فقد قام ببيانها في ختام الآية بقوله: وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّار؛ "فَقَوْلُه: الْعَزِيزِ إِشَارَةٌ إِلَى كَوْنِهِ كَامِلَ الْقُدْرَةِ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ كَامِلَ الْقُدْرَةِ، وَأَمَّا فِرْعَوْنُ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْعَجْزِ فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا... وَقَوْلُهُ الْغَفَّارِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا آيِسِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِسَبَبِ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ مُدَّةً مَدِيدَةً، فَإِنَّ إِلَهَ الْعَالَمِ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا لَا يُغْلَبُ قَادِرًا لَا يُغَالَبُ، لَكِنَّهُ غَفَّارٌ يَغْفِرُ كُفْرَ سَبْعِينَ سَنَةً بِإِيمَانِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ" (الشهري، ص 484).

ثانياً: عاملية الاستفهام:

عد الاستفهام فعلا لغويا من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا؛ "لأنّ الأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه، وأقوى حجة عليه، وذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر"، وتتمثل حجاجية الاستفهام في الخروج عن معانيه الأصلية في الاستعمال، إذ يكون السياق حينها "إذ يدرك المرسل أن المخاطب لا يوافقه الرأي" (الشهري، ص483). كما أن هناك اعتبارات اجتماعية لخروج هذه الأساليب عن معناها للدلالة على معانٍ أخرى مناسبة لسياقاتها، لأن "تحليل ظواهر مثل الاستفهام والأمر والنهي والإنذار والوعيد والتّعجب والتهديد... يبيّن أنَّ اللغة تشتمل بصفة ذاتية وجوهرية على مجموعة من الإجراءات التي تسمح بإقامة تنوع كبير في العلاقات الإنسانية" (العزاوي، ص117).

وقد وظفت العديد من أدوات الاستفهام لتحقيق مقاصد حجاجية في سور آل حم، وقد أظهرت تفسيرات ابن عاشور الطاقات الحجاجية لها، وذلك على النحو التالي:

1) همزة الاستفهام:

وردت همزة الاستفهام في عدة آيات في سور آل حم، ومن ذلك:

تحقق القصدية الحجاجية للاستفهام بالهمزة من خلال المواجهة الحوارية في سورة (غافر)؛ إذ إن الحوار هو "أهم أشكال التفاعل اللفظي، وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج بامتياز" (عادل، ص 183). ومن هنا فإن تحقق هذه القصدية (المواجهة الحوارية) يتم عبر حصار السائل للمسئول بأسئلة محددة لا يستطيع الأخير التهرب من الإجابة عنها، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ **(غافر: 28)**.

إذ قام (مؤمن آل فرعون) بتوظيف الاستفهام الدال على الإنكار لإقناع الجمهور المخاطب، ومحاولة التقارب العقلي والمنطقي معه، ولذلك كثرت ضمائر المخاطب في كلامه؛ لتحقيق استمالتهم لما يطرح عليهم من حجج، وجعل الحوار سبيلا إلى إفهامهم الفهم الصحيح.

واستخدام أسلوب الاستدراج؛ أي "استدراج المخاطب، فقد أراد الانتصار لموسى بطريقة يخفى عليهم أنه متعصب له، فجاءهم بطرق النصح والملاطفة" (محمود، 2000م، ص127). ثم تصدير علة الإنكار عليهم بـ(أن) في قوله: أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ. قال علي بن فضال المجاشعي: "ما علة دخول أَنْ ها هنا؟ والجواب: أنها دخلت لتدل على أن القتل إنما كان من أجل الإيمان، ولو حذفت لم يدل على هذا، وإنما يدل على قتل رجل مؤمن لا من أجل إيمانه، والتقدير: أتقتلون رجلا من أجل أن يقول، أي: لأن يقول، وتلخيصه من أجل قوله" (المجاشعي، 2007م، ص432).

يعتمد جدال مؤمن آل فرعون مع قومه على أدّلة عقلية مؤثرة في المخاطبين، وهي البينات والآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، وهو يطلب منهم أن يتأملوها بتدبر كي يتيقنوا من صدقه أو كذبه، وكذلك تعجبه من موجبات قتلهم لموسى؛ لمزيد من التشنيع والإنكار لفعلة الإقدام على جريمة القتل، "وذلك لأنه ما زاد على أن قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وذلك لا يوجب القتل البتة" (الرازي، ج9، ص509).

فالطاقة الحجاجية التي تتضمنها الأسئلة الإقناعية – من وجهة نظر الباحثة– تعمل على إحداث التأثير العاطفي من المؤمن على المخاطبين من قومه، وهي طاقة تتبلور من السؤال الضمني وليس الصريح، فالتأويلات الضمنية هي التي تجعل من هذه الأسئلة أساليب حجاجية.

إن مثل هذه الأسئلة مهمة لإثارة المرسل إليه وإلزامه باتخاذ موقف معين، ومما يدل على أهمية البنية الحجاجية الاستفهامية وجودها في كل خطاب في بنيته السطحية أو في بنيته العميقة أيضًا، فكل خطاب لا بد وأن يثير أسئلة تستدعي بالضرورة جوابًا ومن ثم حجاجا (رزقي، 2018م، ص159).

إن الآية الكريمة تحاجج الكافرين وتدعوهم بأن ينظروا نظرة معتبر إلى ما حل في الذين سبقوا إلى الكفر والعصيان، وما بقي من آثارهم بعد هلاكهم، ففي ذلك وقوف على المشاهد المحسوسة للوصول إلى المعرفة، إذ إن المعرفة تمر بعدة مراحل على النحو الآتي (زكريا، 1978م، ص 26–27 –28):

- مرحلة الملاحظة الحسية المباشرة.
- مرحلة التجريب؛ حيث توضع الظواهر في ظروف تساعد في استخلاص قوانين جزئية منها.
- مرحلة الاستنباط العقلي؛ حيث يستخلص من القوانين الجزئية المستخلصة من مرحلة التجريب عبر أساليب منطقية ورياضية ما يُمكن أن يترتب عليها من نتائج.

وبناء على ذلك يأتي الحديث عن الأمم السابقة التي كفرت بالمرسلين، وبيان ما نزل فيها من العذاب وأحاطها الله به، فقد جاء الاستدلال بخطاب تمثيلي حسي للتجريب على حال حاضرة راهنة؛ أي مقارنة حال المشركين الذين كذبوا الرسول ﷺ بحال الأمم التي سبقتهم (شوقار، ص 39).

وهذا النمط من الأسئلة الذي تدخل فيه أداة الاستفهام على الجملة المنفية، لا يقصد به الاستخبار أو الاستفهام، وإنما يقصد به تقرير ما جاء بعد النفي، لحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عند الثبوت أو النفي، إذ يثق المرسل بأن الإجابة على سؤاله عند المرسل إليه هي بلى (لشهري، ص523). كما في قوله تعالى: **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ** (فصلت: 15).

وتستند قصدية التقرير على طرح أسلوب الأسئلة المغلقة، وقد قال الشهري: "إن استراتيجية التوجيه تتدرج في الأسئلة، فتكون أحكم في السؤال المغلق؛ لأنها توجه إلى الجواب أولًا، وإلى محتوى القضية آخرًا" (الشهري، ص354). فعن طريق السؤال المباشر تتحدد النقاط التي يتم الحديث فيها، ولا يسمح المرسل بالخروج عنها، لذلك يستوجب على المرسل إليه أن يجيب عن أسئلة المرسل، فهو خطاب موجه، والاستفهام كما جاء في كتاب التعريفات: "استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: وهو طلب حصول الشيء في الذهن" (الجرجاني، 1983، ص18). إذن هو موجود في ضمير المتحدثين أو ذهنم؛ لذلك لا بد من أداة إنجاز من أجل معرفته وإظهاره، وجعل المخاطب يقر بما في داخله ويعترف بما في جعبته.

أما رد خزنة جهنّم على قولهم (بلى) فجاء بقولهم: (وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ) فظاهره التنصل من أن يدعوا الله لهم، وتوكيل أمرهم لأنفسهم بأن يطلبوا ذلك من الله بقولهم: " فادعوا" (ابن عاشور، ج24، ص 214)، فالأمر هنا جاء من قبيل الاستهزاء والسخرية منهم، وإثبات أن دعاءهم لا قيمة له.

ويأتي الاستفهام بالهمزة للتوبيخ؛ كما في قوله تعالى: **قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** (فصلت: 9).

وقد بنى ابن عاشور توجيه معنى الاستفهام للتوبيخ قياسا على قوله تعالى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [٢٨] كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ.

ويأتي كذلك للإنكار في قوله تعالى: **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ** (الزخرف: 32).

"إِنْكَارٌ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف: 31]، فَإِنَّهُمْ لَمَّا نَصَّبُوا أَنْفُسَهُمْ مَنْصِبَ مَنْ يَتَخَيَّرُ أَصْنَافَ النَّاسِ لِلرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ، فَقَدْ جَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ لَا لِلَّهِ، فَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى قَوْلِهِمْ أَنَّ الِاصْطِفَاءَ لِلرِّسَالَةِ بِيَدِهِمْ، فَلِذَلِكَ قُدِّمَ ضَمِيرُ هُمْ الْمَجْعُولُ مُسْنَدًا إِلَيْهِ،

عَلَى مُسْنَدٍ فِعْلِيّ لِيُفِيدَ مَعْنَى الِاخْتِصَاصِ فَسَلَّطَ الْإِنْكَارَ عَلَى هَذَا الْحَصْرِ إِبْطَالًا لِقَوْلِهِمْ وَتَخْطِئَةً لَهُمْ فِي تَحَكُّمِهِمْ" (التحرير والتنوير، ج25، ص200).

كما يأتي الاستفهام بالهمزة لإفادة التقرير والإلزام بالحجة في قوله تعالى: **أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ** (الشورى: 37).

قال ابن عاشور: "وَالِاسْتِفْهَامُ فِي أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ تَقْرِيرِيٌّ إِذْ لَا يَسَعُهُمْ إِلَّا أَنْ يَعْتَرِفُوا بِأَنَّ قَوْمَ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهِمُ الْأَمْثَالَ فِي الْقُوَّةِ" (التحرير والتنوير، ج26، ص308).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: **وَنادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (الزخرف: 51)**.

"وَالِاسْتِفْهَامُ فِي أَفَلا تُبْصِرُونَ تَقْرِيرِيٌّ جَاءَ التَّقْرِيرُ عَلَى النَّفْيِ تَحْقِيقًا لِإِقْرَارِهِمْ حَتَّى أَنَّ الْمُقَرَّرَ يَفْرِضُ لَهُمُ الْإِنْكَارَ فَلَا يُنكرُونَ (التحرير والتنوير، ج26، ص230).

وفي قوله تعالى: **أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ (الأحقاف: 4)**.

"وأَ رَأَيْتُمْ اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرِيٌّ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ مَعْنَى: أَخْبِرُونِي" (التحرير والتنوير، ج26، ص9). وتكمن حجاجية هذا الاستفهام في كونه في ارتباطه بالأمر بالرؤية في قوله: **أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ**. من أجل الاستدلال على نفي صفة الإلهية عن أصنامهم التي يعبدونها من دون الله. "وَجَاءَ هَذَا الِاسْتِدْلَالُ بِأُسْلُوبِ المناظرة فَجعل النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَاجِهًا لَهُمْ بِالِاحْتِجَاجِ لِيَكُونَ إِلْجَاءً لَهُمْ إِلَى الِاعْتِرَافِ بِالْعَجْزِ عَنْ مُعَارَضَةِ حُجَّتِهِ، وَكَذَلِكَ جَرَى الِاحْتِجَاجُ بَعْدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِطَرِيقَةِ أَمْرِ التَّعْجِيزِ بِقَوْلِهِ: أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ" (التحرير والتنوير، ج26، ص9).

ومن دلالات الإنكار من خلال استعمال همزة الاستفهام قوله تعالى: **وَالَّذِي قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي** (الأحقاف: 17).

وَالِاسْتِفْهَامُ فِي أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ إِنْكَارٌ وَتَعَجُّبٌ... وَجُعِلَتْ جُمْلَةُ الْحَالِ وَهِيَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي قَيْدًا لِمُنْتَهَى الْإِنْكَارِ، أَيْ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ فِي حَالِ مُضِيِّ الْقُرُونِ... وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ أَحَالَ أَنْ يُخْرَجَ هُوَ مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَدْ مَضَتْ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ وَطَالَ عَلَيْهَا الزَّمَنُ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَهَذَا مِنْ سُوءِ فَهْمِهِ فِي مَعْنَى الْبَعْثِ أَوْ مِنَ الْمُغَالَطَةِ فِي الِاحْتِجَاجِ لِأَنَّ وَعْدَ الْبَعْثِ لَمْ يُوَقَّتْ بِزَمَنٍ مُعَيَّنٍ وَلَا أَنَّهُ يَقَعُ فِي هَذَا الْعَالَمِ (التحرير والتنوير، ج26، ص39).

ويظهر الجدل المذموم من خلال الحجاج المغالط في طرح نية فرعون على الملأ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: 26).

إذ يستعين فرعون بتقنية الحجاج المغالط بهدف تضليل الحقائق، ظنًّا منه أن تلك التقنية يمكن أن تقلب الحقيقة إلى جانبه. إذ إن في التوسل بالمغالطة في الحوار مع قومه من وجهة نظره فإنه تحقيق نتيجتين؛ هما: الحفاظ على سلطته. وترك أثر إيجابي في نفس مخاطبيه كي لا يستسلموا بسهولة إلى حجاج المؤمن. وهذا ما فعله فرعون حين أنّه حريص على دين قومه، ويخاف أن يضلهم موسى ومن آمن معه فيطلب منهم تفويضا بقتل موسى والتخلص من دعوته. ففرعون الذي ادعى الألوهية نادى في قومه لغاية في نفسه، حيث يقول الله عز وجل في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: 51).

إن المغالطة الحجاجية في كلام فرعون هدفها الوصول بالمخاطبين من قومه إلى مرحلة الاقتناع، بحيث " يصبح المتلقي تحت سيطرة المرسل" (الشهري، ص457). ولذلك فهو يستعين في تعزيز تضليله الحجاجي بالسلطة التي يمتلكها على قومه؛ في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. إذ يعتمد هنا على أدوات حجاج السلطة المتمثل في التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي.

كما يجتمع التقرير مع التنديم من خلال الاستفهام بالهمزة في قوله تعالى: **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ (الأحقاف: 34)**. "وَالِاسْتِفْهَامُ تَقْرِيرِيٌّ وَتَنْدِيمٌ عَلَى مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْجَزَاءَ بَاطِلٌ وَكَذِبٌ" (التحرير والتنوير، ج26، ص66).

2) هل الاستفهامية:

حرف استفهام غير مختص، يكون استفهاماً عن حقيقة الخبر، وجوابها: نعم أو لا (معاني الحروف: ص101). وذكر المالقي أنّ (هل) لها في الكلام موضعان:

- أنْ تكون للاستفهام غير عاملة لعدم اختصاصها بالأسماء والافعال وما لم يختص لم يعملْ. فتقول: هل قام زيدٌ؟، وهل زيدٌ قائم؟
- أنْ تكون بمعنى (قد) نحو قولك (هل قمت)؟ بمعنى قد قمت، وزعم بعضُهم أنَّ (هل) تكون للتقرير في بعض الموارد؛ وهذا مردود لأنّهُ لم يثبت في(هل) معنى التقرير فيحمل هذا عليه (رصف المباني: 469-471).

وقد ورد الاستفهام بها في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ (غافر: 47).

وتحمل "إذ" دلالة الإشارة الزمانية لسرعة وقوع المجادلة بينهم بعد دخولهم النار، وتحقق الوعيد الذي كانوا يكذبونه، ويشير الفعل المضارع (يَتَحَاجُّونَ) إلى أن هذه المحاججة ليست وليدة اللحظة، إنما هي مستمرة استمرار عذابهم في النار، وهذا له دلالته بأنهم لا يتوقفون عن الحجاج الباطل فيما بينهم، إذ يلقي بعضهم على بعض التهم واللائمة (المومني، ص149).

3) مَن الاستفهامية:

ورد الاستفهام بـ **(مَن)** في قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ **(غافر: 29)**. الذي يشير إشارة صريحة إلى أنّه دمج نفسه معهم؛ ليبين لهم أن المصيبة إذا نزلت لا تصيب بعضهم دون بعض، بل ستشملهم جميعاً (ابن عاشور، ج24، ص 186- 187).

وورد الاستفهام بـ **(مَن)** لإفادة معنى الإنكار والتعجيب في قوله تعالى: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ (الأحقاف: 5). "وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارٌ وَتَعْجِيبٌ. وَالْمَعْنَى: لَا أحد أَشَدُّ ضَلَالًا وَأَعْجَبُ حَالًا مِمَّنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ دُعَاءَهُ فَهُوَ أَقْصَى حَدٍّ مِنَ الضَّلَالَةِ" (التحرير والتنوير، ج26، ص11).

4) كيف الاستفهامية:

يوجه الله تعالى خطابه لسيدنا محمد ﷺ مهوناً عليه تكذيب الكافرين له بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر: 5).

تمثل اللغة في الاستراتيجية التلميحية آلية حجاجية كبرى تحتوي على تقنيات متاحة أمام طرفي التواصل. فالاستراتيجية التلميحية تعتمد أكثر على الكفاية اللغوية وامتلاك ناصية اللغة في مطابقتها للأحوال والمقامات، ومن هنا تتنوع وظائف الأدوات والأساليب اللغوية لدى المتكلم حسب السياق الواردة فيه، وهو ما يساعد في تنوع الدلالات والغايات التواصلية الحجاجية.

ومن أهم آليات الاستراتيجية التلميحية اللغوية استخدام الأسلوب المجازي في الحوار، ولا يتم العدول من المعنى الوضعي إلى المجاز إلا بوجود علاقة بينهما هي التي سمحت بهذا الانتقال في الأساس؛ يقول العلوي: " فإن من حق المجاز أن يكون بينه وبين ما نقل عنه علاقة يحسن لأجلها التجوز والنقل" (العلويّ، ج1، ص49). وهذه العلاقة تسمى القرينة أو الدليل باصطلاح ابن الأثير؛

"الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل" (ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص44).

أما الغاية التداولية للأسلوب المجازي فلأن العدول المجازي أبلغ من الحقيقة: " كأنّ الألفاظ تنقلب عن سجيّتها، وتزول عن موضوعها، فتحتمل ما ليس من شأنها أن تحتمله، وتؤدّي ما لا يوجب حكمها أن تؤدّيَهُ" (الجرجاني، أسرار البلاغة، ص394).

ثالثًا: عاملية التوكيد:

تأتي أدوات التوكيد لتحقيق العديد من المقاصد الحجاجية، من أهمها:

1) إن التوكيدية:

ذكر المرادي أن (إنَّ) حرف له قسمان:

- **القسم الأول:** أنْ يكون حرف توكيد، ينصب الاسم ويرفع الخبر نحو: إنَّ زيداً ذاهب. خلافاً للكوفيين في قولهم: إنَّها لم تعمل في الخبر شيئاً بل هو باقٍ على رفعهِ قبل دخولها، وأجاز بعضُ الكوفيين نصب الاسم والخبر معاً. وقال ابن السيد: نصب خبر (إنَّ) لغة قوم من العرب ومن أحكام (إنَّ) أنَّها قد تُخفف خلافاً للكوفيين. ف(إن) المخففة عندهم نافية وهي حرف ثنائي الوضع وإنَّ المشددة لا تخفف عندهم (الجنى الداني: 393-395).
- **القسم الثاني:** أن تكون حرف جواب بمعنى (نعم) ذكر ذلك سيبويه والأخفش، وحمل المبرد على ذلك قراءة من قرأ " إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ " [طه: 63] وأنكر أبو عبيدة أن تكون (إنَّ) بمعنى (نعم) (الجنى الداني: 398).

وقد جعل الحق تبارك وتعالى الوعد بنصر الرسل في زمانين متقابلين؛ للدلالة على القدرة الإلهية في الجمع بين الشي ونقيضه، فالوعد بالنصر شامل للنصر في الحياة الدنيا، وفي الآخرة حيث اليوم الذي يقوم فيه الأشهاد، والخطاب الإلهي هنا يحمل مقصد التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وقومه، مما يلاقونه من تعنت وإيذاء من المشركين (الوائلي، 2016م، ص231).

والبنية اللغوية للتركيب التوكيدي أسهمت في إبراز تلك الدلالة الحجاجية عبر الآتي:

- مجيء اسم (إن) ضميرا للمتكلم بصيغة الجمع للتعظيم في (إنَّا)، والقدرة على تحقيق وعده للرسل والمؤمنين.
- ثم اقتران خبر إن باللام للمبالغة في التوكيد، مما يعني أن المخاطبين به هم في أقصى حالات الإنكار.

- ثم استعمال صيغة الفعل المضارع في (لَنَنْصُرُ) للدلالة على تحقق هذا النصر في كل زمان، إذ إنه نصر يتميز بالدوام والاستمرار، بمعنى أن تلك هي سنة الله في الأرض.
- ثم مجيء المفعول به (رسلنا) مضافًا إلى ضمير المتكلم العائد إلى الله تعالى، لتحقيق دلالة التكريم والتشريف لهم، إضافة إلى تضمنه لدلالة القرب والمحبة.

ويستمر خطاب التسلية للرسول ﷺ من خلال تكرار توبيخ الكافرين بدعوته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: 56). فالتكرار أداة حجاجية دالة على لإكثار من التوبيخ مرة بعد مرة(ابن عاشور، ج24، ص220). وقد استعمل الاسم الموصول هنا بدلالته الإشارية للدلالة على مشركي مكة، وذلك لتحقيق مقصد الذم، من جهة أولى، ولتحقيق مقصد التعميم والشمول لكل من يجادل في آيات الله من جهة أخرى، وتؤخذ دلالة العموم والشمول من إيراد فعل جملة الصلة" يجادلون" بصيغة المضارع، للدلالة على أن ديدنهم هم وأمثالهم هو المجادلة بالباطل في كل زمان ومكان.

وتستخدم (سورة غافر) التوكيد عبر (إن واللام) لتحقيق قصدية التحقق وإقامة الحجة على المنكر. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ **(غافر: 59)**.

وأرى أن التوكيد في الآية قد دخل لإقامة الحجة على المخاطب المنكر لقضية عقدية حاسمة، وهي قضية البعث، ومن ثم فالتأكيد هنا له حضور إلزامي لقوته الحجاجية في تحقق المعنى المؤكد، وهو معنى إثبات البعث، أي أن التأكيد أراد أن يقيم الحجة على الكافر أن يجعله يسلم أن قيام الساعة هو أمر محقق لا مجال للشك فيه، هذا من جانب أول. إذ إن "تأكيد الخبر ب (إنَّ) ولام الابتداء لزيادة التحقيق" (ابن عاشور، ج24، ص180).

ومن جانب ثانٍ **أرى** أن هذا التحقق والإثبات الموجه للمخاطب يحمل قوة حجاجية مضمّنة، وهي التهديد، أي تهديد هذا المخاطب إن لم يؤمن بما هو ثابت ومحقق.

2) أن التوكيدية:

ويظهر التوكيد بـ (أنَّ) في قوله تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (غافر: 43).

إن استخدام التوكيد كأسلوب حجاجي في قوله: (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ). مقصده زرع الرهبة والفزع في نفوس المخاطبين من قوم المؤمن في خاتمة حواره معهم، عندما رأى إصرارهم على الكفر، وهذا الوعيد يتضمن في فحواه مقصد الترغيب في الإيمان واليقين المطلق بالرجوع إلى الله.

وهو ما يتضح من تكرار الرابط العطفي بين الأقوال والجمل في الآية ثلاث مرات، فالحجج التي تعبر عن نتيجة الحوار يتم ربطها دلاليا بالرابط (الواو)، وهو أحد الرّوابط الحجاجية، التي تستعمل " في بناء الخطاب بناءً حجاجيا، يكمن دوره في ترتيب الحجج، ونسجها في خطاب واحد متكامل، ووظيفته لا تنحصر في الربط النّسقي على المستوى الأفقي بل تتجاوز ذلك إلى التّرتيب العمودي" (الشهري، ص472-473).

3) قد:

من جملة ما ذكره النحويُّون فإن لـ(قد) خمسة معان:

- **التوقع:** تكون جواباً لمتوقع، وهي نقيض (ما) التي للنفي ولا يُبتدأ بها إلا أنْ يكون جواباً لمتوقع قيل، وقوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) [المؤمنون: 1]. على هذا المعنى لأنَّ القوم توقعوا علم حالهم عند الله تبارك وتعالى فقيل لهم قد أفلح المؤمنون. والتوقع مع المضارع واضح (مصابيح المغاني: 322).
- **التقريب:** ولا ترد للدلالة عليه إلا مع الماضي ولذلك تلزم غالباً مع الماضي إذا وقع حالاً نحو قوله تعالى: " وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ " [الانعام: 119]. وأن ورد دون (قد) فقيل هي معه مقدرة وهو مذهب المبرد والفرّاء وقوم من النحويين (الجنى الداني: ص256).
- **التقليل:** وترد للدلالة عليه مع المضارع نحو: إنَّ البخيل قد يجود، ونازع بعضُهم في إفادة (قد) لمعنى التقليل فقال: (قد) تدلُّ على توقع الفعل ممَّن أُسند إليه وتقليل المعنى لم يُستفدْ من (قد) بل لو قيل: البخيل يجود، فُهِمَ منه التقليل لأنَّ الحكم على مَن شأنُهُ البخل، بالجود إنْ لم يُحمَلْ على صدور ذلك قليلاً كان الكلامُ كذباً، لأنَّ آخرهُ يدفعُ أوله (الجنى الداني: ص257-258).
- **التحقيق:** وترد للدلالة عليه مع الفعلين الماضي والمضارع. والحاصل أنها تفيد مع الماضي ثلاثة معان: التوقع والتقريب والتحقيق، ومع المضارع أحد أربعة معان: التوقع، والتقليل، والتحقيق، والتكثير (الجنى الداني: 259).

ويؤسس (بيرلمان وتيتيكاه) الغاية من الحجاج عن طريق فعل الاقتناع، إذ يعبران عن هذه الغاية بأنها "إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسِل أو العمل على زيادة الإذعان" (الشهري، ص456.)، ويتحقق الإذعان إلا بدفع المرسل إليه إلى "المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه" (الشهري، ص 256)، ويظهر هذا الإذعان في كون تردد فرعون وشكه هو السياق الحاضن للحوار وللتخاطب بين فرعون وحاشيته، وخصوصا الرجل المؤمن الذي استغل قلق فرعون من مسألة قتل موسى بسبب احتمالية عواقبها المدمرة ليتصاعد في وتيرة خطابه الذي يدلل على إيمانه دون ريب أو خشية من فرعون؛ لأنه أدرك خوف فرعون من المساس بالرسل.

رابعاً: عاملية النداء:

يدرس البلاغيون النداء ضمن صيغ الإنشاء الطلبي، ويعرفونه أنه "طلبُ إِقْبَالِ الْمَدْعُوِّ عَلَى الدَّاعِي بِحَرْفٍ نَائِبٍ مَنَابَ "أَدْعُو" (السيوطي، ج3، ص281). وتأتي أدوات النداء على نوعين:

1- نداء القريب حسًّا أو معنى، وأداته: الهمزة، وأي.
2- نداء البعيد، وأداته: يا، وهيا، وأيا، وا (السكاكي، ص101).

فتنوع أدوات النداء، مع تنوع لفظ المنادى يأتي تبعا لاختلاف شخص المنادي أو صفته، أو سياق خطابه والغرض منه.

ويخرج النداء عن معناهُ الحقيقي إلى مقاصد تداولية ذكرها البلاغيون بالقول: "وقد تستعمل صيغته من غير معناه، كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم بـ (يا مظلوم)، والاختصاص في قولهم: افعل كذا أيها الرجل. ونحن نفعل كذا أيها القوم، وغفر الله لنا أيتها العصابة، أي متخصّصاً من بين الرجال، ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب" (القزويني، ج3، ص92).

و(يا) حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، وقد ينادى بها القريب توكيداً وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد وقيل: بينهما وبين المتوسط وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً ولهذا لا يُقدَّر عند الحذف سواها (مغني اللبيب: 4/447-451).

وقد استخدم مؤمن آل فرعون في نداء مخاطَبيه أسلوبا واحدا مكررا، وهو قوله: يا قوم. كما يتضح من الآيات الآتية:

- ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر: 29).
- ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر: 32).
- ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 38).

ففي تكرير نداء قومه مبالغة في التنبيه والتحدي وإمحاض النصيحة والإيقاظ من سنة الغفلة؛ كأنه عزَّ عليه يستهدفوا للمصير المحزون، وهو متأرجح بين التلطف بهم وما يسوءهم.

وفي المنهج السيميائي "يقرأ المحلل البناء الكتابي على أنه جنس متعدد الأشكال من الاختيارات الخطية المرفقة بتوجهات اتصالية، تحدد الصيغة النهائية للموضوع وتصفه" (عفيف، ص60). فلا بد من قراءة سيميائية بصرية لصور الحروف وللأشكال الخطية للقرآن، واستنطاق دلالاتها ومعانيها البعيدة كل البعد عن الزخرفة البديعية. إذ تتعمق أسرار الحروف العربية التي جاء بها كلام رب العالمين، وتتفاعل سيميائيا ودلاليا مع شكل الحرف القرآني.

والمؤشر الحجاجي لهذه المؤشرات اللفظية أن فيها دلالة على أنه "زَادَ فِي الْوَعْظِ وَالتَّخْوِيفِ وَأَفْصَحَ عَنْ إِيمَانِهِ، إِمَّا مُسْتَسْلِمًا مُوَطِّنًا نَفْسَهُ عَلَى الْقَتْلِ، أَوْ وَاثِقًا بِأَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَهُ بِسُوءٍ" (القرطبي، ج15، ص310).

يتضح أن استعمال أسلوب التأدّب هنا في مقام التمييز بين الإيمان والشرك هو أرقى درجات أدب الخطاب؛ لأنه يعتمد على إدراك المتكلم للمرونة التي يجب أن يكون عليها هذا النوع من الخطابات الشائكة، إذ يستعمل المتكلم هذا الأسلوب التخاطبي بوصفه آلية حجاجية لها مقصد تداولي، وهو أن يرق قلب المدعو فيستجيب، إذ لابد أن يبدأ الخطاب بالإعداد النفسي للمخاطَب المعترض وتهيئته لتلقي الدعوى المخالفة لاعتقاده.

إن خطاب التأدب في الحوار لا يمثل في هذا المقام إلا أداة تواصلية تهدف إلى الموازنة بين نقيضين؛ حتى يتبين الشيء بضده عن طريق المقارنة بين ما يتمسك به المخاطب من اعتقادات، وبين ما يدعوه إليه المتكلم من إقناع وتسليم، "فالمرسل عندما يطالب غيره مشاركته اعتقاده فإن مطالبته هذه لا تكتسي صبغة الإكراه، لكنها كانت نابعة من سبل استدلالية اتخذها المرسل ليقتنع برأيه المخاطَب" (الشهري، ص 446).

فتلك المقارنة تثير في نفس المخاطب التوجه إلى ما فيه مصلحته، وتلك طريقة لطيفة يَنْفَذُ المتكلم عن طريقها إلى قلب المخاطب المخالف.

ولكي يوظف المؤمن تقنية التأدب فإنه يتوسل بالنداء المتكرر (يا قوم)، فتكرار النداء فيه زيادة تنبيه لتحذير المخاطب من مغبة الاستمرار في الشرك والتضليل، إلى أن يتيقن أنه لا سبيل إلا بالإقرار والإيمان بالله عز وجل.

فالنداء يحث المتلقي ليقوم بردة فعل تجاه المتكلم، وهنا نرى لفت انتباه المتلقي بحرف النداء (يا) حتى يركز ذهنه على ما يريده المتكلم، "كما أن الأمر الذي يأتي بعد النداء يمنح لهذا النداء الدلالة على شدة عناية المتكلم بمضمونه (دراز، 1986م، ص276).

فالحجاج انطلق في الآية من إثبات الصفة الإيمانية للمتكلم، من خلال إحالة الاسم الموصول عليه، وذلك لأن المحتوى القضوي التالي للنداء يتمثل في " توجيه وتنبيه من شيء لا يعرفونه" (الشهري، ص360). فاستخدم أسلوب الشرط الطلبي "اتبعونِ أهدكم" يتضمن التوجيه من خلال سلطة العلم والمعرفة، المستلزمة عن صفة الإيمان، ومن ثم فقد جاء الطلب " اتبعونِ" بصيغة الأمر الذي يفيد النصح والإرشاد (عبد المطلب، ص 210). للتنبيه على امتلاكه لشيء لا يعرفونه، وهو (سَبِيلَ الرَّشَادِ)، مع ما يتضمنه هذا الأسلوب من تقارب وتضامن معهم من خلال التأدب في الخطاب.

نستنتج مما تقدم أن المتكلم (مؤمن آل فرعون) يتعامل مع استراتيجيات الخطاب الأربع وفقا للمعيار الذي توافق مع مقصده الحجاجي، وذلك عن طريق توظيف القصد التداولي الملائم للغاية الحجاجية، بما يتناسب مع سياق كل بنية حوارية.

كما يحمل النداء قوة حجاجية تتمثل في تنبيه المتكلم لمن يناديه؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر: 39).

إذ "أَعَادَ النِّدَاءَ تَأْكِيدًا لِإِقْبَالِهِمْ إِذْ لَاحَتْ بَوَارِقُهُ"(التحرير والتنوير، ج24، ص 149). فوصف الدنيا أنها "تمتعٌ يسيرٌ لسرعةِ زوالِها أجملَ لَهمُ أولاً ثمَّ فسرَ فافتتحَ بذمِّ الدُّنيا وتصغيرِ شأنِها لأنَّ الإخلادَ إليها رأسُ كلِّ شرٍّ ومنه تتشعبُ فنونُ ما يُؤدِّي إلى سخطِ الله تعالَى ثمَّ ثنَّى بتعظيمِ الآخرةِ فقالَ ﴿وَإِنَّ الأخرة هِيَ دَارُ القرار﴾ لخلودِها ودوامِ ما فيها" (العمادي، ج7، ص277). فالنداء يحمل قوة حجاجية تتضمن لفت انتباه المخاطب لترك اللهو في الدنيا الزائلة، والعمل بجد لدار البقاء، فقد بينت الآية "حَقَارَةَ حَالِ الدُّنْيَا وَكَمَالَ حَالِ الْآخِرَةِ" (الرازي، ج27، ص518).

ونؤكد أن القوة الحجاجية لجملة النداء قد أيدت من خلال ما أعقبه من القصر بـ (إِنَّمَا) التي تقصر الدنيا على أنها دار متاع زائل، مع الإشارة إليها بصيغة تحقيرية باسم الإشارة (هَٰذِهِ)، وفي المقابل إتيان حقيقة الدار الآخرة بجملة مؤكدة بـ (إِنَّ)، وذكر الضمير العائد إليها (هِيَ) تعظيما لشأنها.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن أسلوبي النفي والاستفهام في سور آل حم يشكّلان عنصرين أساسين في بناء الحِجاج البلاغي للخطاب القرآني، حيث يتجاوز توظيفهما المستوى التركيبي إلى أداء وظائف دلالية وإقناعية دقيقة. وقد بيّن التحليل أن النفي يسهم في إبطال المزاعم وترسيخ القضايا العقدية الكبرى، في حين يؤدي الاستفهام البلاغي أدوارًا متعددة، من أبرزها الإنكار والتقرير والتوبيخ، بما يعزّز مسار الإقناع الحِجاجي. كما أظهرت الدراسة أن السياق القرآني الجدلي يمثّل عاملًا حاسمًا في توجيه الدلالة الحجاجية لهذه الأساليب، ويكشف عن تكاملها في بناء خطاب محكم يجمع بين الإلزام العقلي والتأثير النفسي. وتؤكد هذه النتائج أهمية المقاربة البلاغية الحجاجية في تعميق فهم الخطاب القرآني، وإبراز طاقته الإقناعية ضمن نسق لغوي دقيق ومقصود.

النتائج:

1. أثبتت الدراسة أن النفي في القرآن يؤدي وظيفة حجاجية تتجاوز الدلالة النحوية إلى الإلزام والإقناع.
2. تبيّن أن تكرار أدوات النفي يعزز قوة الحجة ويؤكد القطع في القضايا العقدية.
3. كشفت الدراسة أن الاستفهام القرآني يؤدي أغراضًا حجاجية متعددة، مثل الإنكار، والتقرير، والتوبيخ.
4. أظهرت النتائج أن التوكيد يعد آلية مركزية لإقامة الحجة وترسيخ الحقائق الإيمانية.
5. اتضح أن النداء، ولا سيما نداء "يا قوم"، يحمل بعدًا تداوليًا حجاجيًا قائمًا على الاستمالة والتقريب.
6. بينت الدراسة أن السياق القرآني الجدلي يوجّه دلالة العوامل اللغوية توجيهًا حجاجيًا مقصودًا.
7. أكدت النتائج تكامل العوامل اللغوية المختلفة في بناء خطاب قرآني محكم التأثير والإقناع.

التوصيات:

1. توصي الدراسة بتوسيع البحث في الحروف والعوامل اللغوية من منظور حجاجي تداولي.
2. تشجيع الدراسات المقارنة بين التفسير البلاغي القديم والمناهج اللسانية الحديثة.
3. الإفادة من التحليل الحجاجي في تدريس البلاغة القرآنية واللغة العربية.
4. توجيه الباحثين إلى دراسة الحوار القرآني بوصفه نموذجًا متقدمًا في الإقناع الخطابي.
5. الدعوة إلى مزيد من الدراسات السيميائية للحرف القرآني وربطه بالدلالة الحجاجية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، ضياء الدين. (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (تحقيق: أحمد الحوفي & بدوي طبانة). القاهرة: دار نهضة مصر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (د.ت). التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (د.ت). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر. (د.ت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. بيروت: دار الكتب العلمية.
- البقري، أحمد. (د.ت). معاني الحروف في العربية. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت). أسرار البلاغة (تحقيق: محمود محمد شاكر). القاهرة: دار المدني.
- الجرجاني، علي بن محمد. (1983). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.

- الرازي، فخر الدين. (1981). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار الفكر.
- رزقي، محمد. (2018). الحجاج في الخطاب القرآني. الجزائر: دار الهدى.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (د.ت). المفصل في صنعة الإعراب. بيروت: دار الجيل.
- السيوطي، جلال الدين. (د.ت). الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة.
- السيوطي، جلال الدين. (د.ت). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. بيروت: دار الفكر.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (د.ت). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية. الرياض: دار كنوز المعرفة.
- شوقار، محمد. (د.ت). الحجاج والتمثيل في القرآن الكريم. عمّان: دار كنوز المعرفة.
- طه عبد الرحمن. (د.ت). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- العلوي، يحيى بن حمزة. (د.ت). الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. بيروت: دار الكتب العلمية.
- العزاوي، فاضل. (د.ت). التداولية وتحليل الخطاب. عمّان: دار المسيرة.
- الفيروزآبادي، مجد الدين. (د.ت). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المجاشعي، علي بن فضال. (2007). إعراب القرآن الكريم وبيانه. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المرادي، الحسن بن قاسم. (د.ت). الجنى الداني في حروف المعاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المومني، أحمد. (د.ت). الحجاج في الخطاب القرآني. عمّان: دار المسيرة.
- محمود، عبد العزيز. (2000). الحوار في القرآن الكريم. القاهرة: دار السلام.
- زكريا، فؤاد. (1978). التفكير العلمي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- بليث، هنريش. (د.ت). البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص (ترجمة: محمد العمري). الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- الوائلي، عبد الكريم. (2016). البلاغة القرآنية وأبعادها الحجاجية. بغداد: دار الشؤون الثقافية.